المحاضرة 4: النظم السياسية"الإمامة وولاية العهد"

أولا:/الإمامة

1/ تعريف الإمامة لغة واصطلاحا :

الإمامة في اللغة من أم يؤم إماما، والإمام هو ما يقتدي به الناس وهو من يتقدم الناس في الصلاة، وهو الخليفة وهو قائد الجيش.

اصطلاحا هي عبارة عن"رئاسة في الدين والدنيا لشخص من الأشخاص، فالإمامة هي خلافة شخص من الأشخاص للرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة قوانين الشرع وحفظ الامة والملة لهذا وجب إتباعه على كافة الأمة.

وهناك من يسوي بين مفهوم الإمامة والولاية على الأمة، فجعل المصطلحين على مفهوم واحد، وبعضهم يفرق بينهما، فيجعل الإمامة عامة والولاية خاصة، ومنهم من يفرق في معنى الولاية فيجعلها عامة وخاصة.

ولاية الإمامة موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدين والدنيا، أمّا الولاية الخاصة كولاية الأولياء/ والولاية العامة موضوعها شؤون المجتمع.

2/شروط منصب الإمامة:

يشترط في الإمام مجموعة من الشروط أهمها: العلم بالأحكام الشرعية حتى يستطيع التعرف على موقف الشرع من كل قضية أو مسألة تعترض الأفراد أو الأمة ، والتي يمكنه أن ينفذ فيها أحكام الله؛ ومن الشروط أيضا أن يكون الإمام قدوة للرعية ومثلا لهم ويسعى إلى توطيد وغرس الثقة بين الإمام– الحاكم– والرعية المحكومن، ومن الشروط أيضا: العدل حيث يقوم بحق الأمة ويؤدي حق الله تعالى في ما لهم وما عليهم، ويتوجب على الرعية طاعته ونصرته ما لم يتغير حاله.

ومن الشروط أيضا: سلامة الحواس والأعضاء(البدن) من النقص حتى يسهل عليه عمله والقيام به على أكمل وجه، فإن طرأ عليه نقص في الحواس أو البدن فإن ذلك يُعيقه ويمنعه عن التصرف في أمور الأمة والرعية؛ ومن شروط الإمامة أيضا: الكفاية ويُقصد بها أن لا يخاف الإمام لومة لائم في إطار أحكامه بل أن يكون جريئا مقدما على إقامة الحدود كفيلا على إجبار الناس بالالتزام بها عارفا بأحوال الناس ومتبصرا بشؤون الحكم قادرا على إدارة شؤون الأمة في السلم والحرب.

ومن الشروط أيضا: النسب القرشي وقد اعتبر من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الإمام لتولي منصب الإمامة باعتبارها موضوعا لخلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، بمعنى أن يكون الإمام من قريش، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم:" الأئمة من قريش"، وقوله:" قدموا قريشا ولا تقدموها" وقد اثار هذا الشرط جدلا، وحسب ابن خلدون والماوردي فإن اشتراط القرشية في بداية الحكم الإسلامي إنما كان بمعنى إسناد الإمام إلى عصبية قوية تدعم وجوده وتقوي من سلطانه، أي أن ينحدر الإمام من قبيلة قوية وله عصبة تقوي سلطانه ففي هذه الحالة يكون أولى في إمامته من غيره، وإضافة للشروط السابقة هناك أخرى كالذكورة – الحرية– البلوغ لاتفاق الجميع عليها.

3/نظرية الإمامة عند خوارج الإباضية بالمغرب:

مر تأسيس الإمامية الإباضية في بلاد المغرب بطورين:

أ/ طور الكتمان والسرية: حيث بدأ الفكر الخارجي بالظهور في المشرق عصر الدولة الاموية بقيادة"أبو عبيد مسلم بن عكرمة" الذي أدرك صعوبة نشره هناك فأرسل الدعاة إلى الأقاليم الواسعة بالعالم الإسلامي وكان من أبرزهم الداعية: مسلمة بن سعد الحضرمي سنة102هـ الذي توجه إلى المغرب في أوائل القرن 2هـ فوجد تشجيعا من البربر الذين رأوا في الدعوة الإباضية المساواة التي حرمهم منها الأمويون، كما شجعهم على التوجه للمشرق لتلقي تعاليم الإباضية على يد إمام الإباضية"أبو عبيد مسلم بن أبي عكرمة التميمي" وبهذا كون مسلمة بن سعد أول بعثة مغربية من طلاب العلم على يد إمام الإباضية"أبو عبيد مسلم بن أب عكرمة التميمي" وتتدرب على نشر الدعوة الإباضية بعد عودتها إلى المغرب، وكانت البعثة تتألف من عدد من الرجال منهم: أبو الخطاب الغدامسي، عاصم السدراتي/ إسماعيل بن درار الغدامسي/ أبو داود النفزاوي/ عبد الرحمان بن رستم.

وقد بقي حملة العلم مدة خمسة أعوام وبعد تعمقهم في معرفة أصول المذهب وتعاليمه عادوا إلى بلدهم لنشره فزاد عددهم، وكانت التعليمات التي تزودوا بها تقضي بأن يقوموا بنشر الدعوة سرا حتى تتوفر الظروف الملائمة ويجتمع لهم المؤيدون والأنصار ليعلنوا حالة الظهور.

ب/ طور الإعلان والظهور: بعد العودة نظم سلامة بن سعد ثورة في طرابلس بقيادة"أبي الخطابط وعين هذا الأخير عبد الرحمان بن رستم واليا عليها في القيروان، معه عدد من الإباضية من زناتة وهوارة وغيرهم، ثم وقعت المواجهة بينهم في القيروان مع القوات العباسية بقيادة"محمد بن الأشعث الخزامي" وانتصر الإباضية وانتقل" ابن الخطاب" نحو المغرب المغرب الأوسط من القيروان خفية سنة 144هـ وبذلك حقق الإباضية حلمهم في تكوين كيان خاص بهم، ونجح عبد الرحمان بن رستم في تكوين دولة إباضية في المغرب الأوسط وانتقلت على إثره العديد من القبائل المتبعة للمذهب بالمغرب الأدنى إلى الأوسط لتعيش في كنف الدولة الإباضية وبقيت جماعات منهم في جبل نفوسة في طرابلس وفي بلاد تونس وكانوا تابعين لها ويعترفون بالإمام عبد الرحمان بن رستم إماما وخليفة لكل الإباضية ببلاد المغرب

ومن جهوده أنه سعى إلى توسيع الدعوة الإباضية في قبائل إقليم المغرب الشرقي ونفزة وبلاد الجريد وطرابلس، كما اختار من منطقة" تيهرت" مركزا للحكم.

وأمّا عن اعتقادات الإباضية حول نظرية الإمامة فإنهم كانوا ينكرون ارتباطهم بالخوارج، وينفون شرط القرشية في الإمام ويرى الإباضية أن الإمامة بالوصية باطلة ولا يمكن اختيار الإمام إلا عن طريق البيعة، ويقولون بجواز تعدد الأئمة في أكثر من مكان، وقد عرف مفهوم الإمامة تطورا لدى الخوارج الإباضية الرستميين بالمغرب الأوسط مع الزمن وانتقل من مرحلة إمامة المسلمين بمبدأ البيعة اقتداءا بصحابة رسول الله إلى مرحلة تحول الإمارة إلى ملك؛ فعبد الرحمان بن رستم تولى إمامة تاهرت بالتشاور والبيعة من جماعة الإباضية وجعل الإمامة شورى، وكان يمارس وظيفة إمامة الصلاة والقاضي بين النّاس، فلما توفي سنة 168هـ ترك الوصية في سبعة وجعل ابنه أحد المرشحين(عبد الوهاب) الذي نال من بعده البيعة وعند وفاته أيضا تكررت عملية التوريث فتولى ابنه"أفلح بن عبد الوهاب" الإمامة مكانه.

ثانيا/ولاية العهد:

1/ مفهوم ولاية العهد:

ولي العهد في الإسلام هو الشخص الذي يعهد إليه الخليفة أو الحاكم بتولي الحكم بعد وفاته سواء بالنص عليه وحده أو على أكثر من شخص على التوالي، وقد رأت بعض المذاهب الفقهية بجواز عقد البيعة من الخليفة لابنه.

2/ استحداث ولاية العهد في الإسلام:

في عام41هـ/ 661م حين أعلن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تنازله عن الخلافة والمبايعة لمعاوية بن أبي سفيان، فكان على إثر ذلك قيام الدولة الأموية التي شهدت على عهد معاوية تطورا في أوضاع الخلافة، فبعد ان كانت في العهد الراشدي قد تأسست على نظام الشورى والانتخاب كأسلوب في الترشح لمنصب الخلافة استحدث نظام جديد اعتمد على مبدأ التوريث بإعلانه البيعة بولاية العهد لابنه يزيد ليصبح أول ولي عهد في تاريخ المسلمين، وعلى إثر ذلك توارثها بنو أمية وأصبح الحكم في بيت واحد لا يتعداه إلى سواه ولم يكن ذلك الاتجاه في توريث الحكم معروفا لدى المسلمين زمن الخلفاء الراشدين بل أصبح ميزة الحكم في العهد الأموي.

وقد شهد الأمر تطورات في ذلك بحيث لم يكتف الامويون بولي عهد واحد بل قام على سبيل المثال:" مروان بن الحكم" بإجراء تعديلات على هذا المنصب بإسناد ولاية العهد لأكثر من واحد كإسنادها لابنيه: عبد الملك وعبد العزيز، وبذلك أحدث تطورا جديدا تبعه من جاء بعده من الخلافاء الأمويين وأصبح النزاع داخل أبناء الأسرة الأموية الحاكمة.

كما انجر عن ذلك ظهور صراعات وخلافات حول رفض مسألة أن تكون الخلافة ملكا وراثيا وهو ما انجر عنه ظهور الفرق والأحزاب التي ثارت ضد الحكم الأموي عن طريق القيام بالثورات ومن أبرزهم: الشيعة الذين ثاروا ضد الدولة الأموية وخرجوا تحت شعار"الدعوة لآل البيت" ورفضهم لبني أمية حكاما عليهم واعتبروهم مغتصبين للخلافة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه وأبناءه في نظرهم الوحيدون الذين لديهم الحق في تولي الخلافة، وكذلك الشأن مع الخوارج فقد كانت نظريتهم للخلافة قائمة على أساس أن الخليفة ينبغي أن يُختار بالشورى ورفضوا فكرة توريث الملك ونظام ولاية العهد وطالبوا برجوع الخلافة إلى عهدها الأول بحيث تكون حقا لكل مسلم لديه مؤهلات لها وتتم بيعته وقبوله من طرف المسلمين.

وكان لثورات الشيعة والخوارج أثر في زعزعة استقرار كيان الدولة الأموية، كما أنّ خيار منصب ولاية العهد لعب دورا في زعزعة الحكم الأموي إذ كانت ولاية العهد سببا للنزاعات بين الإخوة والأبناء من أفراد الأسرة الأموية، ما ترتب عن ذلك انشقاق في البيت الأموي خاصة في عهد الوليد بن يزيد لتدخل الدولة بعدها مرحلة الانهيار الفعلي وتنتهي بسقوطها سنة 132هـ/750م.

3/ نماذج عن نظام ولاية العهد في الغرب الإسلامي"

أ/ الدولة الأموية في الأندلس:

ويتجلى ذلك من خلال قيام الخليفة الاموي"عبد الرحمان بن معاوية الداخل"،ت172هـ بترك ولاية العهد لأحد ابنيه وهما: هشام وسليمان وهو حينئذ على آخر عهده في مرض الموت، وكان سليمان أكبر الأبناء وقد حكم بينهما ابنه الثالث" عبد الله" على أن تكون ولاية العهد للأصلح فيهما وقال لعبد الله:" من سبق إليك من إخوتك فأرم إليه بالخاتم والأمر فإن سبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين إليه"، فكان هشام بمدينة ماردة وكان سليمان بمدينة طليطلة، فحدث أن قدم هشام من ماردة قبل سليمان وخاف حينصار من قرطبة أن يُدافعه أخوه" عبد الله" بعد أن أسندت إليه القصور والأموال، لكن أخاه عبد الله خرج إليه وسلم عليه بإسناد الخلافة ودفع له الخاتم كما أوصاه أبوه، والظاهر أن الأمير عبد الرحمان الداخل قد لجأ لذلك بترشيح ابنيه لولاية العهد بأنه كان يريد أن يخلفه الأصلح من أولاده وكان يرى في قرارة نفسه أن ابنه هشاما كان أصلح الأبناء لذلك، مع أن المتعارف عليه هو أن يتولى الابن الأكبر وهو سليمان، فما كان له من خيار للفصل بينهما سوى وضع شرط الأسبق في الوصول إلى قرطبة.

ب الدولة الموحدية في المغرب والاندلس:

وتجسد موقف الموحدين في إعلان ولاية العهد من خلال فترة حكم"عبد المؤمن بن علي" ورغبته في الاحتفاظ بالسلطة بين بنيه، إذ عهد لابنه محمد بالولاية من بعده، وهو نفس النهج الذي سار عليه الخلفاء الموحدون انطلاقا من حرصهم على إعداد ولي العهد من أبنائهم قبل تسليمه زمام ومقاليد الحكم، فكانوا يسندون إليهم الوظائف والمهام وإدارة الأقاليم والإمارات لاختبارهم وتدريبهم على تحمل المسؤولية، فضلا عن تكوينهم في مدرسة الحفاظ.